المغالطة ومنهج القرآن في الردّ عليها

Quranic Methodology in Refuting Fallacy

Metodologi Quran Bagi Menyangkal Kekeliruan

زمخشري بن حسب الله طيب*، وعصام النّجاني محمد إبراهيم**

الملخّص

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز أصول وعناصر الأغلوطة والمغالطة وأصحابها في القرآن، ومقارنتها بما يُبحث عند المناطقة في هذا الصدد. وقد أبرزت هذه الدراسة أن أصحاب المغالطة في القرآن أصناف متنوعة، ويتبعون أساليب مختلفة؛ فمنهم من كانوا من أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ومنهم المنافقون والمشركون والملحدون. وقد نجح القرآن في مواجهة كل مغالطة، وردّ على كل منها بأساليب ومناهج متنوعة مناسبة لنوع المغالطة، وعظم الضرر المترتب عليها. فبيّنت هذه الدراسة مفهوم الغلط والمغالطة في القرآن، وكذلك عند المناطقة، وأنّ القرآن لا يقتصر في بيان أهم العناصر التي قام عليها مغالطة المغالطين، إنما استعمل القرآن مناهج متعددة في الرد على المغالطين، سواء بمنهج الجدل أو منهج الحوار أو منهج التشويق والتعزيز. وكل منهج من هذه المناهج لها خصائصها ومميزاتها التي يتحقق من خلالها الجمع بين إقناع العقل وجمال الأسلوب.

الكلمات المفتاحيّة: القرآن، المغالطة، المنهج، المنطق، الضرر.

---

* محاضر مادة التفسير بجامعة دارماونسا، ميدان، سومطرة الشمالية، اندونيسيا.

** أستاذ مساعد بقسم دراسات القرآن والسنة، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، وعضو المعهد العالمي لبحوث الحلال INHART.

Abstract

This study aims to highlight the origins and elements of fallacy and chicanery and their beholders as mentioned in the Qur'an and their comparison with what is being discussed among logicians in this regard. This study has highlighted that the holders of fallacies are of many types according to the Qur'an and they follow varied methods. Some of them were from the people of the Book, Jews and Christians, and some were hypocrites, polytheists and atheists. The Qur'an took serious note of every fallacy and refuted each of them by variety of ways and methods suitable for the type of fallacy and the resulting damage thereof. This study explained the concept of fault and fallacy according to the Qur'an and the logicians. The Qur'an has not simply touched the most important elements on which the fallacies are made, but also used various methods in responding to the people who make fallacies, either by polemical approach or dialogical method or method of the thrill and reinforcement. Each approach has its own advantages and features dealt with convincing reasoning and methodological fascination.

Keywords: The Qur'an, Chicanery, Approach, Logic, Damage.

Abstrak

Kajian ini bertujuan untuk menyerlahkan asal-usul dan elemen kekeliruan dan kelicikan dan yang melihatnya sebagaimana yang disebut dalam al-Quran dan perbandingannya dengan apa yang dibincangkan di kalangan ahli mantik dalam hal ini. Kajian ini menyerlahkan bahawa para pemegang kesilapan adalah daripada pelbagai jenis menurut al-Quran dan mereka mengikut kaedah yang berbeza. Sesetengah daripada mereka adalah dari Ahli Kitab, Yahudi dan Kristian, dan ada yang munafik, musyrik dan dari golongan ateis. Al-Quran menumpukan perhatian kepada setiap tanggapan yang salah dan menafikan setiap daripada mereka dengan pelbagai cara dan kaedah yang bersesuaian bagi jenis kesilapan dan kerosakan yang terhasil daripadanya. Kajian ini menjelaskan konsep kesilapan dan kepalsuan menurut al-Quran dan ahli mantik. Al-Qur'an bukan sahaja menyentuh elemen-elemen terpenting di mana kesilapan yang dibuat, tetapi juga menggunakan pelbagai kaedah dalam bertindak balas kepada orang-orang yang membuat kesilapan, sama ada melalui kaedah polemik atau kaedah dialogikal atau kaedah keseronokan dan pengukuhan. Setiap kaedah mempunyai kelebihan dan ciri menangani dengan hujah yang meyakinkan dan daya tarikan metodologi.

Kata Kunci: al-Qur'an, Kelicikan, Kaedah, Logik, Kerosakan.

المقدمة

القرآن كتاب هداية وفرقان، فهو يعين من تدبّر آياته على التفريق بين الحق والباطل، والتفريق بين الحقيقة والواقع وبين الأغلوطة والمغالطة. ولما كان القرآن مشتمل على القواعد والمبادئ التي في التمسك بها عصمة من الوقوع في الضلال، فمن الضروري أن يتعرف المسلمون اليوم، خاصة في عصر الفتن والتمويه، على المناهج التي استعملها القرآن في إثبات الحق وإزهاق الباطل والرد على المغالطات. ولقد ذكر القرآن العديد من أصناف الناس في عصر التنزيل ممن حاربوا القرآن، وأنكروا الحق، وغالطوا في حياتهم من أجل التمويه والتضليل، سواء من المشركين، والملحدين، والمنافقين، أو من وأهل الكتاب. فجاء هذا البحث لدراسة مفهوم المغالطة، وتعريف المغالطين، والتعرف على المناهج التي استعملها القرآن في الرد على تلك المغالطات بجميع عناصرها.

المغالطة في نظر المناطقة

المغالطة في اللغة مأخوذة من أصل ثلاثي (غلط). قال ابن منظور في لسان العرب: "(غلط) الغلط أن تعيا بالشيء فلا تعرف وجه الصواب فيه، وقد غلط في الأمر يغلط غلطا وأغلطه غيره ...وقال الليث: الغلط كل شيء يعيا الإنسان عن جهة صوابه من غير تعمّد..."[1] وقال الفيروز آبادي في القاموس المحيط: "(غلط) محركة أن تعيا بالشيء فلا تعرف وجه الصواب فيه، وقد غلِط، كفرِح في الحساب وغيره، أو خاص بالمنطق، وغلت بالتاء في الحساب..."[2] بينما قال الزبيدي في تاج العروس:

---

[1] ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي، **لسان العرب**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3، 1999م)، ج10، ص 101-102.

[2]. الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط5، 1996م)، ج2، ص229.

"(الغلط) محركة: أن تعيا بالشيء فلا تعرف وجه الصواب فيه كذا في المحكم، وزاد الليث: من غير تعمّد...وغالطه مغالطة وغلاطاً بالكسر. ومما يستدرك عليه: أغلطه إغلاطاً: أوقعه في الغلط، كغلّطه تغليطاً. ويجمع الغلط على أغلاط..."[3]

من التحليل اللغوي أعلاه، يمكن أن نستنتج أنّ الغلط في اللغة يعني أن تعيا بالشيء فلا تعرف وجه الصواب فيه. وقد قيّد بعضهم أن الغلط فيما وقع من غير تعمّد. الغلط يكون في المنطق، بينما الغلت في الحساب. ولفظ المغالطة مصدر من فعل رباعي (غالط). ومن المعلوم أنّ من فوائد تصريف الفعل الثلاثي إلى الفعل الرباعي في اللغة لتحويل الفعل اللازم إلى الفعل المتعدي. إذا كان فعل "غلط" فعلا لازما، ففعل "غالط" فعلا متعدياً.

إنّ البحث عن المغالطة في علم المنطق وثيق الصلة بموضوع القياس. فكلّ قياس تكون نتيجته نقضاً لوضع من الأوضاع يسمى في اصطلاح المنطقيين تبكيتاً، باعتبار أنه تبكيت لصاحب ذلك الوضع. فإذا كان مواده من اليقينيات قيل له تبكيت برهاني، وإذا كان من المشهورات والمسلّمات قيل له تبكيت جدلي.[4] وإذا لم تكن مواده من اليقينيات، ولا من المشهورات والمسلمات، أو كان منها ولكن لم تكن صورة القياس صحيحة على حسب قوانينه، فلا بد أن يكون القياس حينئذ شبيها بالحق واليقينن أو شبيها بالمشهور مادة وهيئة، فيلتبس أمره على المخاطب ويروج عليه، ويكون عليه في معرض التسليم لقصور فيه أو غفلة، وإلاّ فلا يستحقّ أن يسمى قياساً. وعلى ذلك، فهو إن كان شبيها بالبرهان سمّي سفسطائيا، وصناعته سفسطة.

---

[3]. محمد بن محمد المرتضى الزبيدي ، **تاج العروس من جواهر القاموس**،(القاهرة: المطبعة الخيرية، ط1، د.ت)، ج5، ص 193.

[4]. محمد رضا المظفر، **المنطق**، (بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ط2، 1985م)، ص 419.

وإن كان شبيها بالجدل سمّي مشاغبيّاً، وصناعته مشاغبة. وسبب كل من السفسطة والمشاغبة، لا يخلو من أحد الشيئين؛ الغلط أو المغالطة.[5]

بناءً على البيان السابق، فالغلط في المنطق هو الخطأ غير مقصود في عدم مراعاة شروط القياس وقواعده، بينما المغالطة في المنطق تعني استخدام قواعد القياس وشروطه لإيقاع الآخرين بالخطأ والتمويه عليهم وتضليلهم. وبعبارة أخرى، نقول إنّ الغلط يأتي نتيجة لجهلنا بقواعد القياس وشروطه، بينما المغالطة فلا تأتي إلا نتيجة لقصدنا في إيقاع الآخرين في الغلط والتمويه عليهم وتضليلهم.[6] ومن الأمثلة على هذا، لو أنّ أحداً تمثّل في ذهنه معنى من معاني المشترك في موضع معنى آخر له، وهو غافل عن استعماله في المعنى الآخر، فلا محالة يعطي للمعنى الذي تمثله الحكم المختصّ بذلك المعنى الآخر فيغلط. فهذا غلط. بينما إذا تعمّد فعل ذلك ليوقع غيره في الغلط بسبب قلة تمييزه، فهذا الفعل مغالطة. فيتبين لنا من هذا المثال أنّه لولا قلّة التمييز وضعف الانتباه والقصور الذهني لدى الشخص، لما تحققت مغالطة. والبشر مرتكس إلى قمّة رأسه بالمغالطات والخلافات، بسبب القصور الذهني العام الذي لا يكاد يخلو منه إنسان، إلاّ من خصّه الله برحمته من عباده.[7]

قد تقع المغالطة في المنطق عن قصد صحيح محمود، كما يمكن أن تقع عن غرض فاسد.ومن الأمثلة على أغراض محمودة للمغالطة؛ الامتحان والعناد. فالامتحان يعني اختبار القايس غيره لامتحان معرفته، بينما العناد يعني مدافعة القايس غيره وتعجيزه إذا كان مبطلاً مصرّاً على باطله. وأما الغرض الفاسد من المغالطة، فهو مثل الرياء بالعلم والمعرفة، والتظاهر بحبّهما، أو طلب التفوّق على الغير. إنّ الدافع للإنسان إلى الرياء وطلب التفوّق هو شعوره بالنقص من الناحية العلمية، فيريد في دخيلة نفسه

---

[5]. **المرجع نفسه**، ص 419-420.

[6]. هادي فضل الله، **مقدمات في علم المنطق**، (بيروت: دار الهادي، ط2، 2000م)، ص 382 (بتصرف).

[7]. المظفر، **المنطق**، ص 420-421.

أن يعوّض عن هذا النقص. وإذ يعرف من نفسه العجزَ عن التعويض بالطريق المستقيم وهو التعلّم والمعرفة الحقيقية، يلتجئ إلى التظاهر بما يسدّ نقصه بزعمه، فيلتجئ إلى أن يتلمس طرق الحيل والمغالطة عند مواجهة أهل العلم، ليظهر أمام الناس بمظهر العالم.[8]

لقد اهتمّ المناطقة بدراسة الغلط والمغالطة لما فيها من فوائد لا يستهان بها، منها:

(1)بمعرفة الغلط يتمكّن الإنسان من النجاة من الوقوع في الغلط، ويحفظ نفسه من الباطل، لأنّه إذا عرف مواقع المغالطة ومداخلها يعرف الطريق إلى الهرب من الغلط والاشتباه.

(2)بمعرفة المغالطة يتمكّن الإنسان من مدافعة المغالطين، وكشف مداخل غلطهم. وعلى هذا، ففائدة تعلّمه على الباحث كفائدة تعلّم الطبيب للسموم وخواصّها، فإنّه يتمكّن بذلك من الاحتراز منها، ويستطيع أن يأمر غيره من الاحتراز، ويداوي من يتناولها.

(3)بمعرفة المغالطة يقدر الإنسان على مغالطة المغالط، ومقابلة المغالطين المشعوذين مثل طريقهم، وذلك كما جاء في المثل: إنّ الحديد بالحديد يفلح.

(4)بمعرفة المغالطة ومعرفة ما يصطنعه المغالطون من أوهام يستطيع البشر الذي هو مرتكس إلى قمّة رأسه بالمغالطات والخلافات لإزاحة ذلك الزبد الطافح على الماء من رواسب غلطات الماضين.

(5)على ذوي الطباع السليمة والآراء المستقيمة، فإن تعلّم القوانين والأصول في الغلط والمغالطة يزيد له بصيرة.[9]

قسّم المناطقة، سواء من المسلمين أو من غيرهم، المغالطة إلى قسمين رئيسين؛ المغالطة اللفظية، والمغالطة المعنوية. والفرق بينهما يكمن في أنّ المغالطة اللفظية تأتي من

---

[8]. **المرجع نفسه**، ص 421 (بتصرف).

[9]. **المرجع نفسه**، ص 422. (بتصرف).

جهة اللفظ، بينما المغالطة المعنوية لا تأتي من جهة اللفظ. ثمّ ذهب المناطقة إلى تفريع كل من النوعين إلى أنواع كثيرة وصل عددها إلى ثلاثة عشر نوعاً.[10] ويلاحظ من هذا التقسيم والتفريع أنه غير شامل لجميع أنواع المغالطات والأغلوطة التي وقعت في حياة الناس اليومية، فلا عجب أن نجد أنّ المتأخرين من المناطقة الغربيين توسّعوا في تفريع أنواع المغالطات. بل إنّ أحدهم وهو توماس إدوارد دامر Thomas Edward Damer، أوصل عدد أنواع المغالطات إلى ستّين نوعاً في كتابه "الردّ على الاستدلال بالمغالطة" Attacking Faulty Reasoning، وكلّها مأخوذة من واقع الحياة اليومية.[11] إن واقع هذا العصر يبرز لنا أنّ المغالطة تلعب دوراً مهمّاً في حياة الناس، خاصة في أوساط المجتمعات التي لا تؤمن بالقيم الأخلاقية، وتجيز كل وسيلة من أجل الحصول على الغاية، رافعةً شعار ميكافللي: "الغاية تبرّر الوسيلة". ولهذا السبب، ازداد اهتمام المناطقة بدراسة المغالطة والأغلوطة، سواء بقصد تمويه الناس عن الحقائق، أو بقصد الحذر من الوقوع في مغالطة المغالطين. ومن أمعن النظر في واقع الحياة اليوم، يجد أنّ المغالطة يكثر استعمالها في المجتمع خاصة في فترة الحملات الانتخابية، سواء أكانت رئاسية أم برلمانية. فكلّ حزب سياسي يحاول تطبيق أسلوب المغالطة لخداع الجمهور من أجل الحصول على أصواتهم وتأييدهم. وقد يستخدم هذا الأسلوب أيضاً من أجل

---

[10]. للتوسع في معرفة أنواع هذه المغالطةن انظر: محمد رضا المظفر، **المنطق**، ص424-440. هادي فضل الله، **مقدمات في علم المنطق**، ص 383-390. وهي: مغالطة باشتراط الاسم، مغالطة في هيئة اللفظ الذاتية، مغالطة في الإعراب والإعجام، مغالطة تركيب المفصل، مغالطة المماراة، مغالطة تفصيل المركب، مغالطة إيهام الانعكاس، مغالطة أخذ ما بالعرض مكان ما بالذات، مغالطة سوء اعتبار الحمل، مغالطة بجمع المسائل في مسألة واحدة، مغالطة بسوء التأليف، والمغالطة بالمصادرة على المطلوب، ومغالطة بوضع ما ليس بعلّة علّة.

[11]. للتوسع في تفريع دامر لأنواع المغالطة انظر:

Thomas Edward Damir ،**Attacking Faulty Reasoning**، (USA: Ward and Reds for printing and publishing, i 1.2001), pp. 51-190.

إسقاط هيبة المنافس في نظر الجمهور والتقليل من شعبيته. وقد يستعمل هذا الأسلوب أيضاً في إخفاء عيب عنده وجعلها ميزة يتميز بها عن غيره.

لقد استعمل الرئيس الأمريكي السابق رونلد ريجن Ronald Reagan هذا الأسلوب حينما كان في السباق الانتخابي مع مرشح آخر أقلّ سنّاً منه. فلمّا سُئل هل سيكون قادراً على الخوض في معركة الأسلحة النووية مع كبر سنه والفوز في الحملة الانتخابية، أجاب: "أريد أن استغلّ صغر سنّ منافسي وقلّة خبرته لأفوز." يلاحظ من كلامه، أنه حوّل نقطة الضعف عنده (وهو كبر السنّ) ميزة يتميز بها على غيره، مع أنّه في الأصل لا يريد أن يستغلّ قضية السنّ في حملاته الانتخابية، حتى يتمكن من سدّ الثغرة التي قد يطعنه منافسُه من خلالها. [12]

لقد ظهر في الآونة الأخيرة المناطقة المسلمون من اهتمّوا بربط مبحث المغالطة في المنطق بمنهج القرآن، وفي مقدّمتهم الدكتور عبد الرحمن حبنكة الميداني. هذه المحاولات في الربط بين مبحث المغالطة ومنهج القرآن قد تكون نابعة من إحساس المناطقة بقصور مبحث المغالطة في علم المنطق الذي ورثه المسلمون من الإغريق. فكم من مغالطة وقعت في حياتنا اليومية لا نجد لنا بياناً في تفريع أنواع المنطق لدى المناطقة.

المغالطون في القرآن

القرآن كتاب هداية، وليس كتاب منطق أو جدل. إلا أننا نجد في القرآن الكريم ذكر لأصناف متعددة من الناس، سواء من المسلمين أو غيرهم؛ من أهل الكتاب، والمنافقين، أنّهم استعملوا أسلوب الغلط أو المغالطة، سواء أكان بالخطأ ومن غير قصد أم بقصد تمويه على الغير. ومن أمعن النظر في قضية الأغلوطة والمغالطة في

---

[12] Thomas Edward Damir ،**Attacking Faulty Reasoning**، (USA: Ward and Reds for printing and publishing, i 1.2001), pp. 51-190.

القرآن، يجد أنها أكثر ما تكون في الاعتقاد والتفكير والمقولة لدى أهل الكتاب. وكثيرا ما يعبّر القرآن عن مغالطتهم باستعمال لفظ "**حسب**"[13]، ومشتقاته للدلالة على أغلوطتهم. وردت مادة "حسب" ومشتقاتها في القرآن سبعا وأربعين مرّة.[14] والجدير بالذكر، أنّ مادة حسب التي جاءت في القرآن بصيغة فعل المضارع أكثر عدد من التي جاءت على صيغة فعل الماضي، حيث وردت بصيغة فعل المضارع أربعاً وثلاثين مرّةً، بينما وردت في صيغة فعل المضارع ثلاث عشرة مرّةً. ومن المعلوم أنّ صيغة المضارع تدلّ على التجدّد والاستمرار. وهذا يدلّ على أنّ الأغلوطة التي ذكرها القرآن من أقوال هؤلاء الناس لا تزال متجدّدةً ومستمرّةً إلى الآن.

إضافة إلى ما سبق ذكره، نجد أن مادة "**حسب**" ومشتقاتها التي جاءت بصيغة الإفراد أكثر عدداً من التي جاءت بصيغة الجمع، حيث وردت بصيغة الإفراد تسعاً وعشرين مرّةً، وبينما وردت في صيغة الجمع ثماني عشرة مرّةً. ويمكن أن يستنتج من هذه الأرقام أنّ أكثر الأغلوطة إنّما هي في بدايتها أغلوطة تتبناها في الأصل أفراد قليلة، ولكن هذا العدد يزداد يوما بعد يومٍ خاصة بعد أن تنتشر هذه الأغلوطة حتى أصبحت تلك الأغلوطة يمارسها جماعة من الناس. ومن البيان السابق، يمكننا أن نستنتج أنّ الأغلوطة والمغالطة يمكن تقسيمها باعتبار عدد فاعلها إلى قسمين؛ أغلوطة فردية وأغلوطة جماعية. والواقع يشهد ما أكثر أنْ تتحوّل الأغلوطة الفردية إلى الأغلوطة الجماعية، خاصة بعد أن تمارس تلك الأغلوطة جماعة من الناس.

---

[13]. قال ابن منظور في لسان العرب: "...حسب المعطَي أنّه يعطيه أعطاه من حيث لم يحتسب. قال الأزهري: وأما قوله عز وجلّ ويرزقه من حيث لا يحتسب، فجائزأن يكون معناه من حيث لا يقدّره ولا يظنّه كائنا من حسِبته أحسب أي ظننت، وجائز أن يكون مأخوذاً من حسَبْته أحسُب، اراد من حيث لم يحسُبه لنفسه رزقاً ولا عدّه في حسابه (انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج3، ص164).

[14]. انظر: محمد فؤاد عبد الباقي، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، (بيروت: دار الحديث، ط1، 1996م)، ص 245-246.

ومن الأمثلة على الأغلوطة الفردية في القرآن، أغلوطة بلقيس في قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا﴾ [النمل: 44]. هذه الآية تبين بأنّ ملكة بلقيس وقعت في الغلط بغير قصد، فهي تظنّ بأنّ ما تراها أمامها ماءً، فرفعت قليلاً من لباسها حتى كشف شيء من ساقيها، وذلك بسبب إتقان الصناعة لدى العاملين والبنائين عند سليمان عليه السلام. فتدلّ الآية أيضاً أنّ الرؤية البصرية قد توقع الإنسان في الغلط والخطأ من غير أن يشعر الإنسان بذلك. ومن الأمثلة على الأغلوطة الجماعية، أغلوطة المتضرّرين بحديث الإفك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [النور: 11]. هذه الآية تبيّن أنّ ليس كل ما يكرهه الإنسان من الأحداث شرّ له، حيث إنّه قد توجد حكم كثيرة وراءها. فالآية إذن تعالج نوع الغلط في التفكير والاعتقاد، فليس كلّ ما يكرهه الإنسان شرٌّ، والعكس صحيح، ليس كلّ ما يحبّه الإنسان خيرٌ له. وأمّا ما يتعلّق بالمغالطة، أي الأغلوطة التي ترتكب بقصد التمويه على الغير، فقد ذكر القرآن النماذج الكثيرة لها. ونظراً لضيق نطاق هذا البحث، يكتفي الباحث بالاستقراء الناقص للآيات القرآنية لاستخراج بعض مغالطات أعداء الإسلام بطوائفها المختلفة من سورة البقرة إلى سورة الأعراف دون الآيات التي يذكر فيها لفظ "حسب" ومشتقاته. ونعرض فيما يلي بعض النماذج من تلك المغالطات مرتّبة حسب الطوائف من اليهود، والنصارى والمنافقين.

أولاً: مغالطات اليهود

ذكر القرآن العديد من مغالطات اليهود، سواء كانت مغالطة انفردوا بها أم مغالطة اشترك معهم فيها طائفة أخرى، كالنصارى. وفيما يلي بعض المغالطات التي انفرد اليهود بها:[15]

(1) زعم اليهود أنّهم لن يمسّهم النار إلاّ أيّاماً معدودة، حيث قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 80]، وقال ايضا: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: 24].

ذكر الواحدي في سبب نزول الآية الثمانين من سورة البقرة، عن ابن عباس، أنّه قال "قدم رسول الله ﷺ المدينة ويهود تقول: إنما هذه الدنيا سبعة آلاف سنة، إنّما يعذب الناس في النار لكل ألف سنة من أيام الدنيا يوم واحد في النار من أيام الآخرة، وإنما هي سبعة أيام ثم ينقطع العذاب، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم – وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة – "[16] وقال ابن عباس في رواية الضحاك: "وجد أهل الكتاب ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين قالوا: لن نعذب في النار إلا ما وجدنا في التوراة، فإذا كان يوم القيامة اقتحموا في النار، فساروا في العذاب حتى انتهوا إلى سقر وفيها شجرة الزقوم، إلى آخر يوم من الأيام المعدودة، فقال لهم خزنة

---

[15]. سيد أحمد محسب مرسي، **مقولات أهل الكتاب والفكر القرآني**، (بيروت: المكتبة الثقافية، ط1ن 1988م)، ص19-98 (بتصرف). والبهي الخولي، **بنو إسرائيل في ميزان القرآن**، (دمشق: دار القلم، ط1، 2003م)، ص 261-304 (بتصرف).

[16]. الواحدي، **أسباب النزول**، (القاهرة: مؤسسة الحلبي وشركاه، 1968م)، ص16.

النار، يا أعداء الله زعمتم أنكم لن تعذبوا في النار إلا أياما معدودات، فقد انقطع العدد وبقى الامد."[17]

يلاحظ من الروايتين السابقتين أنّ مغالطة اليهود في زعمهم أنهم لا يمسهم النار إلا أياماً معدودة تنبني على قياس خاطئ، وهو قياس الغائب على الحاضر، حيث إنّهم لما رأوا أنّ عذاب الله عليهم في الدنيا، وهو أيّام التيه، محصورة في وقتٍ معيّنٍ، ظنّوا أنّ عذاب الآخرة عليهم محصورة في وقت معين كذلك.

(2)إنكار اليهود تغيير قبلة المسلمين من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام، وزعمهم بأنّ البرّ إنما يكون في استقبال المسجد الأقصى فقط دون غيره، حيث قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآَتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: 177]. فـــ "إنّ الله تعالى لما أمر المؤمنين أوّلاً بالتوجّه إلى بيت المقدس، ثم حوَّلهم إلى الكعبة، شقّ ذلك على نفوس طائفة من أهل الكتاب وبعض المسلمين، فأنزل الله تعالى بيان حكمته في ذلك، وهو أن المراد إنّما هو طاعة الله عز وجل، وامتثال أوامره، والتوجّه حيثما وجه، واتّباع ما شرع، فهذا هو البرّ والتقوى والإيمان الكامل، وليس في لزوم التوجّه إلى جهة من المشرق إلى المغرب بر ولا طاعة، إن لم يكن عن أمر الله وشرعه."[18]

يُلاحظ من مناسبة نزول الآية التي أشار إليها ابن كثير في أعلاه أنّ اليهود يغالطون حينما زعموا أن مفهوم البرّ محصور في استقبال المسجد الأقصى وحده دون

---

[17]. **المرجع نفسه**، ص16.

[18]. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (السعودية: دار طيبة للطباعة والنشر، ط2، 1999م)، ج 1، ص485.

غيره. وهذه المغالطة تنبني على إطلاق الألفاظ على غير معانيها، باستغلال وجود شبه ما أو تقارب ما أو تشارك من بعض الوجوه بين معانيها الأصلية والمعاني التي أطلقت عليها في المغالطة التزييفية. فالأصل في البرّ هو طاعة أمر الله وشرعه، وليس الالتزام بما لم يشرع به الله.

(3) زعم اليهود بأنّهم يمكنهم أن يستغنوا عن الله بأموالهم وأولادهم، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ * كَدَأْبِ آَلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [آل عمران: 10-11]. ذكر الإمام الرازي أن المراد بـــ(الذين كفروا) في هذه الآية هم وفد نجران، بناء على رواية أن أبا حارثة بن علقمة قال لأخيه: إني لأعلم أنه رسول الله ﷺ حقاً ولكنني إن أظهرت ذلك أخذ ملوك الروم منّي ما أعطوني من المال والجاه، فالله تعالى بيّن أن أموالهم وأولادهم لا تدفع عنهم عذاب الله في الدنيا والآخرة.[19] وبناء على ذلك، يمكن القول بأن اليهود يغالطون حين زعموا أنّهم يمكنهم الاستغناء عن الله بأموالهم وأولادهم. وهذه المغالطة لا شك أنها تبني لطرح فكرة مختلفة للتضليل بها، حيث إنه من المعلوم أن ما يجمعه الإنسان من الأموال والأولاد في الدنيا لا يمكن أن ينجي الإنسانَ الكافر من عذاب الله يوم القيامة، إلا أن اليهود طرحوا هذه الفكرة من أجل أن يُضلّل الناس بها.

(4) قول اليهود بأن الله فقير وهم أغنياء، حيث قال تعالى: ﴿**لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ**﴾ [آل عمران: 181]. فقد ذكر ابن الجوزي قولين في سبب نزول هذه الآية: "أحدُهما: أنّ أبا بكر الصديق ﷺ دخل بيت مدراس اليهود، فوجدهم قد اجتمعوا على رجل منهم، اسمه فنحاص، فقال له أبو بكر: اتق

[19]. فخر الدين الرازي، **التفسير الكبير ومفاتيح الغيب**، (بيروت: دار الفكر، د.ت)، ج 4، ص123.

الله وأسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول الله. فقال: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر، وإنّه إلينا لفقير، ولو كان غنياً عنا ما استقرض منا. فغضب أبو بكر وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة، وقال: والله لولا العهد الذي بيننا لضربت عنقك. فذهب فنحاص يشكو إلى النبي ﷺ، وأخبره أبو بكر بما قال، فجحد فنحاص، فنزلت هذه الآية، ونزل فيما بلغ من أبي بكر من الغضب ﴿ولتسمَعُنَّ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً﴾ [آل عمران: 186]. هذا قول ابن عباس وإلى نحوه ذهب مجاهد، وعكرمة، والسدي، ومقاتل.

والثاني : أنه لما نزل قوله ﴿مَن ذا الذي يقرض الله قرضاً﴾ [البقرة 245] قالت اليهود: إنما يستقرض الفقير من الغني، فنزلت هذه الآية، هذا قول الحسن، وقتادة."[20]

ويتجلى من خلال الروايتين السابقتين أنّ اليهود يغالطون حينما قالوا بأنهم أغنياء، بينما الله فقير. هذه المغالطة تقوم على التلاعب بمعاني النصوص، بقصد إبطال حقّ أو إحقاق باطل، حيث إنهم أوهموا الآخرين بأنّ الله تعالى لو كان غنيّاً لما كان يطلب منهم الصدقة للفقراء.

(5)زعم اليهود بأنهم قد قتلوا المسيح عيسى بن مريم، كما قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: 157]. فقد "روي أنّ رهطاً من اليهود سبّوه (أي عيسى ابن مريم) وسبّوا أمّه، فدعا عليهم: اللهم أنت ربي وبكلمتك خلقتني، اللهم العن من سبّني وسبّ والدتي، فمسخ الله من سبّهما قردة وخنازير. فاجتمعت اليهود على قتله فأخبره الله بأنه يرفعه إلى السماء ويطهره من صحبة اليهود، فقال لأصحابه: أيكم يرضى أن

[20]. ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، (بيروت: دار إحياء الكتب العربية، د.ت)، ج1، ص464.

يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة؟ فقال رجل منهم: أنا، فألقى الله عليه شبهه فقتل وصلب. وقيل: كان رجل ينافق عيسى فلما أرادوا قتله قال: أنا أدلكم عليه فدخل بيت عيسى ورفع عيسى وألقى الله شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون أنه عيسى."[21]

يلاحظ من الرواية السابقة أنّ اليهود يغالطون حين زعموا بأنهم قتلوا عيسى عليه السلام. وهذه المغالطة مبنية على استغلال مقولات وأفكار أو شعارات متداولة بين الناس، اكتسبت صفة مسلّمات في الرأي العام بتأثير الدعاية لها، أو ترويجها في أسواق الأفكار. فاليهود معروفون بعداهم في قتل الأنبياء، على الرغم من أن الذي صلب لم يكن عيسى عليه السلام في نظر القرآن.

(6) اتخاذ اليهود الإسلام هزواً ولعباً، كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تتخذوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 57]. قال القاضي البيضاوي: "نزلت في رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث أظهرا الإسلام ثم نافقا، وكان رجال من المسلمين يوادونهما. وقد رتّب النهي عن موالاتهم على اتخاذهم دينَهم هزواً ولعباً إيماءً إلى العلّة وتنبيهاً على أنّ من هذا شأنه بعيد عن الموالاة جدير بالمعاداة والبغضاء."[22]. فإنّ مغالطة اليهود في اتّخاذهم الإسلامَ هزواً ولعباً قائمةٌ على عنصر تصيّد بعض الاجتهادات الضعيفة لبعض المسلمين، وجعلها هي الإسلام، مع أنها اجتهادات منتقدة مردودة من قبل مسلمين آخرين، أو من قبل جمهور المسلمين. إن تصرّف بعض المنافقين الذين هم بعيد كل البعد عن الإسلام، اعتبره اليهود أنه من الإسلام، فيتهمون الإسلام والمسلمين بما هم بريء منه.

---

[21]. النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، ج1، ص264.

[22]. البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، (بيروت: دار الفكر، 1996م)، ج2، ص340-341.

(7)قول اليهود بأنّ يد الله مغلولة، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: 64]. فقد ذكر الإمام البغوي أنّ "ابن عباس وعكرمة والضحاك وقتادة قالوا: إن الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من أكثر الناس مالا وأخصبهم ناحية، فلمّا عصوا الله في أمر محمد ﷺ وكذبوا به كف الله عنهم ما بسط عليهم من السعة، فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء: يد الله مغلولة، أي: محبوسة مقبوضة عن الرزق نسبوه إلى البخل، تعالى الله عن ذلك."[23] فيلاحظ من الآية السابقة، أن اليهود يغالطون حينما قالوا بأنّ الله بخيل ويده مغلولة، وهذه المغالطة كغيرها من دعاوي اليهود تقوم على طرح فكرة مختلفة من أساسها للتضليل بها. فاليهود ادّعوا أنّ الله بخيل، ليوهم الآخرين لئلاّ يعبدوا الله لأنه ليس وراء العبادة لله أي نفع مادي في الحياة.

إنّ ما قاله اليهود وما زعموه لا يعكس فقط عن غلطهم في الاعتقاد والتفكير، وإنما يعكس أيضاً عن قصدهم لإيقاع غيرهم في نفس الأغلوطة التي وقعوا فيها والتمويه عليهم. فنجد كثيراً من الناس تأثروا بأكثر أغلوطات اليهود المذكورة أعلاه، خاصة في هذا العصر، لأنه ما من قول يقال إلا وتجد له آذانا سمّاعة، بل قد تتأثر به، وأحيانا يكون هذا هو الغالب. فنجد مثلاً أنّ بعض الطوائف الصوفية في الإسلام تأثروا بقول اليهود: "نحن ابناء الله وأحباؤه"، حيث إنّهم اتخذوا مبدأ الحبّ

[23]. البغوي، **معالم التنزيل**، (السعودية: دار طيبة للطباعة والنشر، ط4، 1997م)، ج3، ص76

كمبدأ أساسي في بناء علاقتهم مع الله. في الأصل، أنّ هذا المبدأ لا بأس به، ولكن نجد أنّ بعضهم اكتفوا بحبّ الله دون القيام بالتكاليف والواجبات المفروضة عليهم.

ثانياً: مغالطة النصارى في القرآن

ذكر القرآن العديد من مغالطات النصارى سواء كانت مغالطات انفردوا بها عن غيرهم أم مغالطات اشتركوا مع اليهود في القول بها. ومن المغالطات التي انفرد النصارى عن غيرهم من الطوائف ما يلي:

(1)زعمهم بأن العقاب والجزاء إنما يكون بأمانيهم، كما قال الله تعالى: ﴿**لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا**﴾ [النساء: 123].

قال ابن الجوزي في سبب نزول هذه الآية: "أن أهل الأديان اختصموا، فقال أهل التوراة: كتابنا خيرُ الكتب، ونبينا خير الأنبياء، وقال أهل الإنجيل مثل ذلك، وقال المسلمون: كتابنا نسخ كل كتاب، ونبينا خاتم الأنبياء، فنزلت هذه الآية."[24] والنصارى يغالطون حينما زعموا أن الجزاء والعقاب يكون على أمانيهم. هذه المغالطة قائمة على تحويل النظر عن دائرة المسألة الأساسية التي هي محلّ النزاع الأساسية إلى أمور جانبية أو أمور أخرى. فوفقاً لرواية سبب النزول، كثيرٌ من أهل الأديان يتناقشون في الوسائل التي يمكن من خلالها الوصول إلى النجاة والدخول في الجنة، ولكن سرعان ما يتحوّل النقاش من ضرورة الإتيان بالبرهان والأدلة إلى مجرد الأماني التي ليست لها أية صلة بموضوع النقاش.

(2)غلوّ النصارى في الدين وقولهم في الله بغير الحقّ، كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ

[24]. ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، ج2، ص113.

انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: 171]. وقال الله أيضا: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: 72]. قال الإمام البغوي في سبب نزول هذه الآية: "نزلت في النصارى وهم أصناف: اليعقوبية والملكانية والنسطورية والمرقوسية فقالت اليعقوبية: عيسى هو الله، وكذلك الملكانية، وقالت النسطورية: عيسى هو ابن الله، وقالت: المرقوسية ثالث ثلاثة، فأنزل الله تعالى هذه الآية."[25] فالنصارى يغالطون حين قالوا أن المسيح إله، وهو واحدة من ثلاث آلهة. وهذه المغالطة وقعت حينما أضاف رجال الدين النصراني وجوب الإيمان بالتثليث في التعاليم النصرانية، وحذفوا الشيء الكثير من شرائع عيسى، سواء فيما يتعلّق بالعبادات والروحانيات، أو بالمعاملات والأخلاق.

(3)قولهم بأن الله هو المسيح ابن مريم، كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: 17]. وقال الله أيضا: ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ**﴾ [المائدة: 72]. قال محمد سيد الطنطاوي: "لقد اتفق النصارى على أن يسوع عندهم فيه عنصر إلهي، وإذا كان الأمر المعروف عندهم أن يسوع ابن الله وفيه عنصر إلهي فقد قالوا: إنّ الألوهية قد حلت فيه. ولازم ذلك القول أن يكون

---

[25]. البغوي، **معالم التنزيل**، ج2، ص313.

هو الله، أو هو إله يعبد ومهما يكون فقد قالوا باتحاد عنصر الألوهية فيه."[26] وهذه المغالطة كسابقتها وقعت نتيجة ضمّ الزيادات والإضافات التي ليست في الأصل، أو حذف قيود وشروط لازمة، فأدى حذفها إلى تغيير الحقيقة.

(4) قولهم بأن الله ثالث الثلاثة، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: 73]. فـــ"النصارى قالت: الإلهية مشتركة بين الله وعيسى ومريم، وكلّ واحد منهم إلهٌ. وفي الآية إضمار، فالمعنى : ثالث ثلاثة آلهة، فحذف ذكر الآلهة، لأن المعنى مفهوم، لأنّه لا يكفر من قال: هو ثالث ثلاثة، ولم يرد الآلهة، لأنه ما من اثنين إلاّ وهو ثالثهما."[27] وهذه المغالطة كسابقتها، تقوم كذلك على عنصر ضمّ الزيادات والإضافات ليس في الأصل، أو حذف قيود وشروط لازمة، يؤدي حذفها إلى تغيير الحقيقة. وإضافة إلى ما سبق، فقد ذكر القرآن بعض المغالطات التي اشترك فيها اليهود والنصارى معا. وفيما يلي بعض النماذج منها:

(1)زعم اليهود بأنّه لن يدخل الجنّة إلا من كان يهوديّا، كما زعم النصارى كذلك بأنه لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيّاً، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 111]. وقد علّق السعدي عن هذه الآية قائلاً: "قال اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هودا، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى، فحكموا لأنفسهم بالجنة وحدهم، وهذا مجرد أماني غير مقبولة، إلاّ بحجّة وبرهان، فأتوا بها إن كنتم صادقين، وهكذا كل من ادعى دعوى، لا بدّ أن يقيم البرهان على صحة دعواه، وإلا فلو قلبت عليه دعواه، وادعى مدع عكس ما ادعى

---

[26]. محمد سيد الطنطاوي، **التفسير الوسيط**، (بيروت: دار السعادة، 2007م)، ج1، ص1213.

[27]. ابن الجوزي، **زاد المسير**، ج2، ص246.

بلا برهان لكان لا فرق بينهما، فالبرهان هو الذي يصدق الدعاوى أو يكذبها، ولما لم يكن بأيديهم برهان، علم كذبهم بتلك الدعوى."[28]

(2)زعم اليهود أنّ غيرهم ليس على شيء، وأنّهم وحدهم على الحق، كما زعم النصارى أن غيرهم ليس على شيء، وأنّهم وحدهم على الحقّ، حيث قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: 113]. فقد ذكر القاضي البيضاوي أنّ الآية نزلت "لما قدم وفد نجران على رسول الله ﷺ، وأتاهم أحبار اليهود فتناظروا وتقاولوا بذلك."[29]

(3)زعم اليهود بأنّ الهداية إنما تكون في اليهوديّة، كما زعم النصارى بأنّ الهداية إنّما تكون في النصرانية، حيث قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: 135]. فقد ذكر الإمام الخازن رواية عن ابن عباس أنّه قال: "نزلت في رؤساء اليهود: كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا وأبي ياسر بن أخطب وفي نصارى نجران السيد، والعاقب وأصحابهما، وذلك أنهم خاصموا المؤمنين في الدين، فكل فريق منهم يزعم أنه أحقّ بدين الله فقالت اليهود: نبينا موسى أفضل الأنبياء، وكتابنا التوراة أفضل الكتب، وديننا أفضل الأديان، وكفروا بعيسى والإنجيل ومحمد والقرآن، وقالت النصارى كذلك، وقال كلّ واحد من الفريقين للمؤمنين: كانوا على ديننا فلا دين إلاّ ذلك فأنزل الله هذه الآية."[30]

---

[28]. السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، ص63.

[29]. البضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج1، ص152.

[30]. الخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، (بيروت: دار الفكر، د.ت)، ج1، ص104.

(4)زعم اليهود بأنّ إبراهيم كان يهوديّاً، كما زعم النصارى بأنّ إبراهيم كان نصرانياً، حيث قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: 67]. فذكر ابن الجوزي قولين في سبب نزول الآية السابقة، "أحدهما: أنّ رؤساء اليهود قالوا للنبي ﷺ: لقد علمت أنّا أولى بدين إبراهيم منك، وأنه كان يهودياً، وما بك إلا الحسد، فنزلت هذه الآية... والثاني: أنّ عمرو بن العاص أراد أن يُغضب النجاشي على أصحاب النبي ﷺ، فقال للنجاشي: إنّهم ليشتمون عيسى. فقال النجاشي: ما يقول صاحبكم في عيسى؟ فقالوا : يقول: إنه عبد الله وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم. فأخذ النجاشي من سواكه قدر ما يقذي العين، فقال: والله ما زاد على ما يقول صاحبكم ما يَزِن هذا القذى، ثم قال: أبشروا، فلا دهورة اليوم على حزب إبراهيم. قال عمرو بن العاص: ومَن حزب إبراهيم؟ قال: هؤلاء الرهط وصاحبهم. فأنزل الله يوم خصومتهم على النبي ﷺ هذه الآية.[31]

(5)زعم اليهود بأنهم أبناء الله وأحباؤه، كما زعم النصارى أنّهم أبناء الله وأحباؤه، حيث قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [سورة المائدة: 18]. قال الإمام ابن كثير رواية عن ابن عباس:"وأتى رسول الله ﷺ نعمان بن أضاء وبحري بن عمرو، وشاس بن عدي، فكلموه وكلمهم رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الله وحذرهم نقمته، فقالوا: ما تخوفنا يا محمد! نحن والله أبناء الله وأحباؤه، كقول

[31]. ابن الجوزي، **زاد المسير**، ج1، ص359.

النصارى، فأنزل الله فيهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ إلى آخر الآية."[32]

فيُلاحظ من المغالطات الخمسة المذكورة أعلاه، التي اشترك فيها اليهود والنصارى أنّ كلّها قائمة على عنصر ضمّ الزيادات والإضافات لا وجود لها الأصل، أو حذف قيود وشروط لازمة، يؤدي حذفها إلى تغيير الحقيقة. فكل الدعاوى التي قال بها اليهود والنصارى ما هي إلا مجرّد زعم ودعوى غير مبنية على أدلة وبرهان. فكل تلك الدعاوى بمثابة ضمّ الزيادات، أو حذف قيود وشروط لازمة، يؤدي إلى ظهور الانحراف في التعاليم الدينية.وقد نتساءل، ما السِّر في تشابه دعوى النصارى بدعوى اليهود الذين سبقوهم؟ هل لليهود دور في تبني النصارى بعض ما ادّعوه وزعموه؟ الجواب عند إمعان النظر في المسألة، نجد أن اليهود لهم يد ودور في تبني النصارى لتلك العقائد الخاطئة، خاصة تلك العقائد التي أدخلها بولس إلى النصرانية بعد رفع عيسى عليه السلام إلى السماء. ومن المعروف أن بولس من اليهود.[33]

من البيان أعلاه، نستنتج أن القرآن لم يترك أية مغالطة أو أغلوطة صدرت من اليهود والنصارى إلاّ وردّها عليهم ردّاً حاسماً، وذلك لئلا يتأثر المسلم بأقوالهم واعتقادهم كما تأثر من قبلهم بمقولتهم الخاطئة. والجدير بالذكر، أنه ما من مغالطة قالها أو زعمها اليهود والنصارى إلا أوردها القرآن في سياق الإنكار أو التوبيخ أو غيرها من السياق الذي يحثّ على النفور من تلك الأقوال.

---

[32]. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج3، ص69.

[33]. محمد أبو زهرة، **محاضرات في النصرانية**، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1966م)، ص45-47.

ثالثاً: مغالطة المنافقين في القرآن

ذكر القرآن بعض مغالطات المنافقين كما يلي: [34]

(1)قول المنافقين باللِّسان بأنّهم مؤمنون بالله واليوم الآخر مع إنكارهم ذلك بقلوبهم وزعمهم بالإصلاح مع إفسادهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ * وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: 8-15].

يُلاحظ من الآيات السابقة كيف كان المنافقون يغالطون عن طريق إطلاق الألفاظ على غير معانيها، باستغلال وجود شبه أو تقارب ما أو تشارك من بعض الوجوه بين معانيها الأصلية والمعاني التي أطلقت عليها في المغالطة التزييفية. فهم يتلاعبون بإطلاق لفظ الإيمان، لمجرد شهادتهم باللسان مع عدم تصديقهم بالقلب وعملهم بالجوارح، كما أطلقوا لفظ الإصلاح على ما قاموا به على الرغم من أن أعمالهم أقرب إلى الإفساد منها إلى الإصلاح.

(2)قول المنافقين بأنّهم لو علموا بوجود القتال لاتبعوا المسلمين في القتال ولكنهم زعموا بأنهم لم يعرفوا بوجوده، كما قال الله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ

---

[34]. عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، **المنافقون في القرآن الكريم**، (جدة: دار المجتمع للنشر والتوزيع، ط1، 1989م)، ص 46.

أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [سورة آل عمران: 167]. فذكر الإمام الرازي أنّه "روي أنّ عبدالله بن أبي بن سلول لما خرج بعسكره إلى أحد قالوا: لم نلقي أنفسنا في القتل، فرجعوا وكانوا ثلثمائة من جملة الألف الذين خرج بهم رسول الله ﷺ، فقال لهم عبدالله بن عمرو بن حرام أبو جابر بن عبدالله الأنصاري: أذكركم الله أن تخذلوا نبيكم وقومكم عند حضور العدو."[35] ففي قوله تعالى ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ﴾ مغالطة، حيث إنّ المنافقين يقولون لو يعلمون ما يصلح أن يسمى قتالا لاتبعوا المؤمنين المجاهدين. وهذا يعني أن الذي يقدم المجاهدون عليه لا يقال له قتال، وإنما هو إلقاء النفس في التهلكة، لأن رأي عبدالله وأتباعه من المنافقين كان في الإقامة بالمدينة، وما كان يستصوب الخروج. فهذه المغالطة قائمة على إطلاق الألفاظ على غير معانيها.

(3) تحاكم المنافقين إلى الطاغوت مع أمر الشرع بالكفر به، كما قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: 60]. قال ابن كثير في سبب نزول هذه الآية "أنها نزلت في رجل من الأنصار ورجل من اليهود تخاصما، فجعل اليهودي يقول: بيني وبينك محمد. وذاك يقول: بيني وبينك كعب بن الأشرف. وقيل: في جماعة من المنافقين، ممن أظهروا الإسلام، أرادوا أن يتحاكموا إلى حكّام الجاهلية.[36] فالمغالطة التي أشارت إليها الآية السابقة عند المنافقين تقوم على عنصر التلاعب في معاني النصوص. فهؤلاء المنافقون ادّعوا الإيمان، إلا أنّ نفاقهم يدفعهم إلى أن يتحاكموا إلى الطاغوت، ومخالفة أمر الشارع الذي أمرهم بالكفر بالطاغوت.

---

[35]. فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، ج3، ص463.

[36]. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج2، ص346

(4)زعم المنافقين بأنّ الموت لن يأتيهم إذا لم يقدموا على الذهاب إلى القتال، كما قال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: 78].

ذكر الإمام البغوي أن هذه الآية "نزلت في المنافقين الذين قالوا في قتلى أُحد: لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا، فردَّ الله عليهم بقوله: { أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ }."[37] فهذه المغالطة التي قال بها المنافقون تقوم على كتمان أقوال صحيحة وعدم التعرّض إليها مطلقاً مع العلم بها وشهرتها. فالمنافقون يقدمون أعذاراً عديدة كلها كاذبة في سبب عدم خروجهم للقتال مع المؤمنين، فهم يذكرون تلك الأعذار الواهية مع وضوح كذبها عند المؤمنين، ويكتمون عذرهم الحقيقي وهو النفاق والبغض على الإسلام، مع وضوحه وضوح الشمس بالنسبة للمؤمنين.

يُلاحظ من النماذج السابقة، أنّ مغالطة المنافقين يشبه بعضها مغالطة اليهود والنصارى، علماً بأنّ مِن المنافقين مَن كانوا على اليهودية والنصرانية، ثم يدخلون الإسلام ليهدموه من الداخل. فلذلك هم لا يزالون يتبنّون بعض الاعتقادات التي تبناها اليهود والنصارى ولو كانت تلك الاعتقادات معارضة لاعتقاد المسلمين.

---

[37]. البغوي، **معالم التنزيل**، ج2، ص252.

وقد شهد التاريخ أمثلة كثيرة على ذلك، منها شخصية عبد الله بن سبأ اليهودي في العصر الماضي،[38] وشخصية مصطفى كمال أتاتورك اليهودي في العصر الحاضر.[39]

بناء على ما سبق، وبالنظر الدقيق إلى مغالطات أصناف الكفار من أهل الكتاب والمنافقين والملحدين التي أوردها القرآن، فهي في جملتها مبنية على العناصر التالية:

(1) تعميم أمر خاص، والمغالطة هنا تنسب إلى بعض أفراد العام ما ليس له أحكام بغية التضليل.

(2) تخصيص أمر عام، والمغالطة هنا تنفي عن بعض أفراد العام ما ليس له من أحكام، بغية التضليل.

(3) ضم الزيادات والإضافات ليس في الأصل.

(4) حذف قيود وشروط لازمة، يؤدي حذفها إلى تغيير الحقيقة.

(5) أخذ نصوص مقطوعة عن سوابقها أو لواحقها أو كليهما أخذاً يفسد أصل المعنى.

(6) التلاعب بمعاني النصوص لإبطال حق أو إحقاق باطل.

(7) طرح فكرة مختلفة من أساسها للتضليل بها.

(8) تصيد بعض الاجتهادات الضعيفة لبعض العلماء، وجعلها هي الإسلام، مع

---

[38]. لعب عبد الله بن سبأ اليهودي دوراً بارزاً في إشعال نار الفتنة بين المسلمين منذ زمن عثمان بن عفان، إلى انقسام الأمة الإسلامية إلى أهل السنة والشيعة. للتوسع حول هذه الشخصية انظر: إبراهيم محمود، **أئمة وسحرة : البحث عن مسيلمة الكذاب وعبد الله بن سبأ في التاريخ**، (لندن: رياض الريس، ط1، 1996م)، ص223-254.

[39]. لعب مصطفى كمال أتاتوك اليهودي دوراً كبيراً في إسقاط الخلافة العثمانية، وقاد حركة قطع تركيا عن جذورها الإسلامي. للتوسع عنه انظر: ضابط تركي (مجهول الاسم)، **الرجل الصنم**، تعريب عبدالله عبدالرحمن، (د.م: ط2، 1978م)، ص361-434.

أنها اجتهادات منتقدة مردودة من قبل مجتهدين آخرين، او من قبل جمهور العلماء المسلمين.

(9) التقاط مفاهيم شاذة موجودة عند بعض الفرق التي تنسب إلى الإسلام، وإطلاقها على أنها مفاهيم إسلامية مسلّمة بها عند المسلمين والإسلام منها بريء براءة الحق من الباطل.

(10) نسبة أقوال أو نصوص إلى غير قائلها أو إلى غير رواتها.

(11) كتمان أقوال صحيحة، وعدم التعرض إليها مطلقاً مع العلم بها وشهرتها.

(12) الإيهام بأن العلوم المادية قائمة على الإلحاد، على خلاف ما هي عليه في الواقع، أو تؤيد المذهب الذي يريد اصحاب المغالطة مناصرته.

(13) تحويل النظر عن دائرة المسألة الأساسية التي هي محلّ النزاع إلى أمور جانبية أو أمور أخرى.

(14) استغلال مقولات وأفكار أو شعارات متداولة بين الناس، اكتسبت صفة مسلّمات في الرأي العام بتأثير الدعاية لها، أو ترويجها في أسواق الأفكار والمفاهيم والمبادئ.

(15) إطلاق الألفاظ على غير معانيها، باستغلال وجود شبه ما أو تقارب ما أو تشارك من بعض الوجوه بين معانيها الأصلية والمعاني التي أطلقت عليها في المغالطة التزيينية، مثل إطلاق لفظ التعصّب المذموم على معنى التمسّك بالحق المحمود.[40]

وقد أشار الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي إلى كيفية ردّ القرآن لمغالطات الكفار بأصنافهم المختلفة، حينما فسّر قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا

[40]. عبد الرحمن حبنكة الميداني، **ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة**، (دمشق: دار القلم، ط6، 2002م)، ص 312-313.

فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ * الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [سورة البقرة: 26-27]، قال النورسي: "أنّ لهم (أي الكفار) شبهات واهية منشؤها أوهام متسلسلة مبناها مغالطات؛ إحداها: القياس مع الفارق. ومنشؤه انهم ينظرون إلى كل شيء بمرآة مألوفهم، فحينما يرون الإنسان ذهنه وفكره جزئي، ولسانه جزئي، وسمعه جزئي، لا يتعلق كل أمرين معا بالذات، ويعرفون أنّ مقياس الهمة موضوع المشغلة والاهتمام، ويرون أن الهمة والعظمة ينسبة الهمة انهم لا يسندون أمراً حقيراً نزيلاً إلى شخص عال جليل، ظنا منهم أنه لا يتنزل للاشتغال بمثله ولا يسع ذلك المر الحقير همته العظيمة، وينظرون بهذا النظر المشط إلى الواجب تعالى، ويقولون: كيف يتنزل بعظمته وجلّه للتكلم مع البشر بمثل محاورة الإنسان، وللبحث عن هذه الأمور الجزئية لا سيما هذه الأشياء المحقرة؟ ...والحاصل: إن الذرات والأمور الخسيسة لما كانت مخلوقة له تعالى كانت معلومة له بالضرورة، فلا مشاحة بالبداهة أن يبحث عنها.

وثانية المغالطات: هي أنهم يزعمون أنهم يرون في أسلوب القرآن خلف المتكلم تمثال الإنسان، بدليل البحث عن هذه الأشياء الحقيرة والأمور العادية، كأسلوب محاورة البشر. أفلا يتذكر هؤلاء المتجاهلون أن الكلام كما ينظر إلى متكلمه بجهة، كذلك ينظر إلى متكلمه بجهات، على ما تقتضيه البلاغة للتطبيق على مقتضى حال المخاطب. فلما كان المخاطب بشرا وكان البحث عن أحواله والمقصد تفهيمه، لبس القرآن أسلوب البشر الممزوج بحسياته المسمى ((التنزلات الإلهية إلى عقول البشر)) للتأنيس.

وثالثة المغالطات: أنهم يقولون ما الحاجة إلى أمثال هذه التمثيلات المومئة إلى العجز عن إظهار الحقيقة؟ الجواب: لما كان المقصد من إنزال التنزيل إرشاد الجمهور، والجمهور عوام، والعوام لا يرون الحقائق المحضة، والمجردات الصرفة عراة عن

متخيلاتهم، ألبس الله تعالى بلطفه وإحسانه الحقائق لباس مألوفاتهم لتحسن الفتهم..."[41]

منهج القرآن في الرد على المغالطة

يرى المناطقة أن أصل الأغلوطة والمغالطة إدخال قضية كاذبة في الدليل، ولكن سبب تمويهها يرجع إلى تحكيم الوهم في غير المحسات، أو على شبه الكاذبة بالصادقة في الصورة، أو شبه الكاذبة بالصادقة في المعنى.[42] ويرى بعض المناطقة أنّ المغالطة تكون نتيجة لصورة من صور القياس الخاطئ. إذا كانت مقدمات الحجة قائمة على خطأ غير مقصود، فهي غلط من الأغلوطة. وإذا كانت مقدمات الحجة قائمة على خطأ مقصود مغلف بما يوهم بأنه حق من أجل التمويه والتضليل، فهي مغالطة من المغالطات.[43]

فيلاحظ من البيان أعلاه، أنّ مفهوم المغالطة والأغلوطة عند المناطقة أضيق من المفهوم الذي يستخدمه القرآن للمغالطة. وعلى الرغم من أن المتأخرين من المناطقة، أمثال دامر وغيره، قد توسعوا قليلاً في استخدام مفهوم المغالطة، إلا أن ذلك المفهوم لا يزال ضيقاً إذا ما قورن بالمفهوم الذي جاء به القرآن.

فالقرآن الكريم يرى أن المغالطة والأغلوطة تتمثل في فكرة خاطئة أو اعتقاد خاطئ يتبناها شخص ما، سواء أعَلم بخطأ ما تبناه أو لم يعلم. فإنْ اكتفى بتبني تلك الفكرة الخاطئة والمعتقدات الفاسدة في نفسه، و لم يحاول نشرها إلى الآخرين، فيعتبر ما تبناه أغلوطة بالنسبة له. وأما إذا حاول نشرها إلى الآخرين وحاول تأثير الناس بما

---

[41]. بديع الزمان سعيد النورسي، **إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز**، (إستانبول: شركة شوزلر للطباعةن ط3، 1999م)، ص202-204 (بتصرف).

[42]. **المرجع نفسه**، ص312.

[43]. **المرجع نفسه**، ص304 (بتصرف).

تبناه، فهو مغالطة بالنسبة له. ولما كان مفهوم المغالطة الذي جاء به القرآن أوسع مما هو معروف عند المناطقة، استخدم القرآن مناهج متعددة في الرد على المغالطة، تارة ردّ عليها القرآن بمنهج الجدل، وتارة لمنهج الحوار، وتارة بمنهج التشويق والتعزيز.

والجدير بالذكر، لم تنحصر غاية القرآن في الرد على المغالطة بيان الأخطاء لمن يرتكبها فحسب، وإنما قصد القرآن إقناع جميعهم بصحّة ما جاء به القرآن من أمور. وهذا الأمر في غاية الأهمية، إذْ إنّ أكثر الأغلوطة التي أراد القرآن أن يصلحها هي أغلوطة في العقيدة والتفكير. ومن المعلوم، أن أكثر ما يتمسّك به الإنسان هو ما يتعلق باعتقاده وأفكاره. ويمكن أن يستنتج من خلال الاستقراء، أن ردّ القرآن على مغالطة المغالطين تارة يأتي مباشرة بعد دعوى المغالطين، و تارة أخرى يأتي في موضع آخر ليس عقب الدعوى مباشرة، مع البيان بأن تلك الدعوى غير صحيحة ولا دليل عليها.

وفيما يلي سيتناول مناهج القرآن للرد على المغالطة:

أولاً: منهج الجدل

الجدل في اللغة يعني اللدد في الخصومة والقدرة عليها، وقد جادله مجادلة وجدالاً، ورجل جدل ومجدل ومجدال: شديد الجدل، يقال: جادلت الرجل، فجدلته جدلاً: أي غلبته، ورجل جدل، إذا كان أقوى في الخصام، وجادله أي خاصمه، مجادلة وجدالا، والاسم (الجدل) وهو شدّة الخصومة.[44] وأما الجدال في الاصطلاح فهو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة لإلزام الخصم. وقد عرفه ابن سينا في الشفاء في كتاب الجدل بأنه "مخالفة تبغي إلزام الخصم بطريق مقبول محمود بين الجمهور."[45] وأما الجدل القرآني، فقد عرفه الألمعي بأنه "براهين القرآن وأدلته التي اشتمل عليها وساقها لهداية

---

[44]. محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، **لسان العرب**، ج2، ص212.

[45]. ابن سينا، **الشفاء (كتاب الجدل)**،(القاهرة: المطابع الأميرية، ط3، 1385 هـ)، ج1، ص23.

الكافرين، وإلزام المعاندين في جميع ما هدف إليه من المقاصد والأهداف التي يريد تحقيقها وترسيخها في أذهان الناس في جميع أصول الشريعة وفروعها."[46]

لقد جادل القرآن الخصوم، وأفحم المعاندين، وألزم المنكرين، وأرشد المترددين الشاكين، واقنعهم بالدليل القطعي بصحّة ما يدعو إليه. وقد استخدم القرآن في جداله على الخصوم أساليب متعددة، وخاصة في الرد على مغالطة المغالطين، بما يلي:

(1)أسلوب السبر والتقسيم

هذا الأسلوب باب من أبواب الجدل، استعمله القرآن في الردّ على دعوى وزعم الخصوم وما يحملونه من الأغلوطة في الاعتقاد والتفكير قصد تمويه الغير. ومن أمثلة هذا الأسلوب كما بيّنه السيوطي في الإتقان، قوله تعالى: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: 143-144]. فقد نبه المخاطبين بالآية إلى أن التحريم يكون لوصف ذاتي في هذه المحرمات أو لوحي من الله أو أمر من الرسول، وبما أنّه لم يكن ثمّة وصف ذاتي بقتضي التحريم، فهل كان التحريم بنصّ من الرسول، أو وحي من الله، أو من أين جاء هذا العلم؟ الجواب: لا شيء من ذلك سوى الافتراء على الله والقول عليه بلا علم.[47]

---

[46]. زاهر عوض الألمعي، **مناهج الجدل في القرآن الكريم**، (الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ط3، 1404 هـ)، ص 25.

[47]. جلال الدين السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، (القاهرة: دار المشهد الحسيني، ط1، د.ت)، ج4، ص55.

(2)أسلوب الاستفهام التقريري والإنكاري

لا يستدل القرآن بمقدمة في مجادلاته لمجرد تسليم الخصم بها، كما هي الطريقة الجدلية المعروفة عند المناطقة، بل يستدل القرآن بالقضايا والمقدمات التي يسلّمها الناس لتكون أدعى للانقياد للحقّ ومجانبة الباطل، ولا شكّ أن في الاستفهام استشارة وبياناً لما في النفوس ليكون الإلزام أبلغ وأقوى.

ومن الأمثلة على هذا الأسلوب، قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ * أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة يس: 78-81]. في هذه الآية ردّ على منكري البعث الذين يغلطون ويغالطون غيرهم في تصوّرهم أنّ الله لا يمكنه أن يخلقهم من جديدٍ بعد موتهم وتشتّت أعضاء أجسامهم وتحلّلها. وكذلك قال الله تعالى : ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ * يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا * أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ * أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: 5-10]. في الآيات السابقة استفهام إنكاري وتقريري وردّ على اغلوطة المغالطين.

(3)أسلوب القياس

تنوع أسلوب القياس الجدلي الذي جاء به القرآن، منها القياس المضمر، وقياس الخلف، وقياس التمثيل. فالقياس المضمر هو القياس الذي تحذف فيه إحدى المقدّمات مع وجود ما ينبئ عن المحذوف. فالناظر والمستقرئ لأدلّة القرآن يرى أنّ أكثرها قد حذفت منه إحدى المقدمات. ومن المثلة على هذا الأسلوب، قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران: 59-60]. ردّ القرآن في هذه الآية أغلوطة ومغالطة النصارى حين زعموا أن الله هو عيسى ابن مريم. بينت هذه الآية إذا

كان الخلق من غير أب مسوغاً لاتخاذ عيسى إلهاً، فأولى أن يكون الخلق من غير أب ولا أم مسوّغاً لاتخاذ آدم إلهاً، ولا أحد يقول بذلك.[48]

وأما قياس الخلف فهو إثبات المطلوب بإبطال نقيضه، وذلك لأن النقيضين لا يجتمعان، ولا يخلو المحلّ عن أحدهما. ومن الأمثلة على هذا الأسلوبن قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آَلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [سورة الأنبياء: 22]. رد القرآن في هذه الآية على أغلوطة ومغالطة المغالطين الذين يزعمون أن في الكون آلهة كثيرة، وليس إلهاً واحداً. فبيّنت هذه الآية أنه لو كان في السماوات والأرض إله غير الله، لتنازعت الإرادتان بين سلب وإيجاب، وإنّ هذا التنازع يؤدي إلى فسادهما لتناقض الإرادتين، ولكنهما صالحان غير فاسدين، فبطل ما يؤدّي إلى الفساد.

بينما قياس التمثيل فهو إلحاق أحد الشيئين بآخر، وذلك بأن يقيس المستدلّ الأمرَ الذي يدّعيه على أمر معروف على من يخاطبه، و على أمر بدهي لا تنكره العقول، وبين الجهة الجامعة بينهما. ومن الأمثلة على ذلك، قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ * أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: 78-81]. في هذه الآية ردّ على منكري البعث الذين يغلطون ويغالطون في تصوّرهم للبعث، حيث عقد القرآن المشابهة بين ابتداء الخلق وإعادته في أبلغ تعبير وأسلم تقرير، فهو قياس ما في الغيب على المشاهد، وقياس ما بيّنه الله وأوجب الإيمان به على ما هو واقع مرئي مُشاهَد.

---

[48]. محمد أبو زهرة، **المعجزة الكبرى القرآن**، (القاهرة: دار الفكر العربي، ط1، 1970 م)، ص 398.

(4)الاستدلال على الخصم بإظهار التشهي والتهكم

ومن الأمثلة على هذا الأسلوب، قوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 85]. ففي هذه الآية ردّ على اليهود الذين يجزّئون الإيمان، حيث إنّ الأخذ ببعض الكتاب يوجب الأخذ بجميعه، والتزام بعض الشرائع يوجب التزام جميعها. ولا يجوز أن تكون الشرائع تابعة للشهوات، إذْ لو كان الشرع تابعاً للهوى والشهوات لكان في الطباع ما يغني عنه، ولكانت شهوة كلّ أحدٍ وهواه شرعاً له،[49] كما قال تعالى: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [سورة المؤمنون: 71].

(5)إلزام الخصم بما يعترف به مما هو مشاهد محسوس

ومن الأمثلة على هذا الأسلوب، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: 73].

(6)بيان أنّ دعوى المغالط خالية من الحجّة، وأن البرهان قام على نقيض ذلك

ومن الأمثلة على ذلك، قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 111]. في هذه الاية ردّ على كل من اليهود والنصارى الذين يزعمون أنه لا يمكن لأحد أن يدخل الجنّة إلا من كان يهودياً أو نصرانياً. فبينت هذه الآية أن دعوى اليهود والنصارى لا برهان عليها، فطالبهم القرآنُ الإتيانَ بالبرهان على مازعموا ولا برهان لهم على ذلك.

---

[49]. ابن قيم الجوزية، **الفوائد**، (القاهرة: دار الكتاب العربي، د.ت)، ج4، ص144.

(7)**إفحام المغالط ببيان أن دعواه وزعمه تلزمه القول بما لم يقل به أحد، وبما لم يعترف به هو**

ومن الأمثلة على هذا الأسلوب، قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ * بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: 100-101].

(8)**أساليب الجدل الأخرى، مثل الإسجال، المناقضة، القول بالموجب، التسليم، الانتقال في الاستدلال، وغيرها من الأساليب الأخرى، كما بينها السيوطي في الإتقان**[50]

والجدير بالذكر، أنّ أكثر مجادلة القرآن في الردّ على أغلوطة ومغالطة المغالطين تكون في الأمور التالية: إثبات وجود الله، وإثبات وحدانية الله، وإثبات الرسالات، وإثبات البعث والجزاء، والتشريعات، وموضوعات مختلفة، مثل جدال اليهود والنصارى في إبراهيم،[51] وجدال المنافقين للمؤمنين.[52]

يختلف الجدل القرآني بالجدل المنطقي أساساً بالنسبة إلى الغاية التي يسعى من أجل تحقيقها. إذا كانت غاية المناطقة من جدلهم الانتصار على الخصم بأية وسيلة كانت، فالجدل القرآني يتميز منهجه في جمعه بين إقناع العقل وجمال الأسلوب. ومن أهمّ الخصائص التي يتميز بها الجدل القرآني من الجدل المنطقي، يمكن إيجازها في النقاط التالية:

(1)الجدل القرآني يستهدف الحقائق في ذاتها، ويقيم عليها البراهين والحجج الدالة

---

[50]. جلال الدين السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج4، ص58-59.

[51]. انظر مثلاً قوله تعالى في سورة آل عمران: 65-68.

[52]. انظر مثلاً قوله تعالى في سورة البقرة: 11-14.

على الأمور المعيّنة مثل الأمور الغيبية.

(2) سلك الجدل القرآن سياسة جدلية بيانية يعالج بها أوضاع الخصوم، ويناقشهم بما يتناسب مع أحوالهم في مقام المجادلة.

(3) الجدل القرآني لم يسلك طرق المنطق اليوناني المعقّدة في ترتيب المقدّمات والنتائج باشكال منطقيّة مطوّلة.

(4) القرآن يطالب كلّ مجادل أن يكون جداله على علمٍ.

(5) الجدل القرآني يجمع بين الإنصاف في الدعوى والإلزام في النتيجة.

(6) أن الأصل في الجدل القرآني أن يكون بالتي هي أحسن، وقد يستخدم الجدل كوسيلة من وسائل الإقناع بالحجّة والبرهان في إثبات الحقّ وإزهاق الباطل.

(7) المظهر العام للجدل القرآني هو معاملة الخصوم بما يتناسب مع أحوالهم العلمية والاعتقادية.

(8) الجدل القرآني يمكن أن يقنع الناس جميعاً إذا هم احتكموا إليه على اختلاف أصنافهم وتباين أفهامهم.

(9) إثارة العقل والوجدان في الجدل القرآني.[53]

ومن الألة الثابتة على تفوّق الجدل القرآني على الجدل المنطقي في طريق الإقناع وأسلوب التعبير، ما قام به الكفار المشركون المغالطون أيام نزول الوحي حيث إنهم حاول أن يمانعوا أنفسهم من سماع القرآن حتى لا يقتنعوا بالأدلة والبراهين المقدّمة من خلاله.[54]

---

[53] .زهر عوض الألمعي، **منهج الجدل في القرآن الكريم**، ص429-436 (بتصرف).

[54] . انظر ما أشارإليه قوله تعلى في سورة فصّلت الآية 26: ((وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ)).

ثانياً: منهج الحوار

وردت كلمة الحوار ومشتقاتها ثلاث مرات في القرآن.[55] والحوار أعمّ من الجدل، إذْ إنّ الجدل يعدّ صورة من صور الحوار. وقد استعمل القرآن منهج الحوار في مخاطبته لأصناف مختلفة من الناس؛ من المشركين والملحدين و منكري المعاد، ومنكري النبوة، وأهل الكتاب. وأكثر استعمال القرآن لأسلوب الحوار ورد في سياق طرح الأسئلة، سواء أكان السؤال من النبي لأمّته، أم أكانت أمّته يسألونه عن أمرٍ فيجيبهم عنه بناءً على الوحي، أم أكان يسأل أمّته ثم يجيب على سؤاله بنفسه. والقرآن يعلّمنا كيف ننهي الحوار بطريقة سليمة، حيث يتمكّن المحاور من إقناع الطرف الآخر بالموضوع أو الفكرة التي يدور الحوار حولها. ومن تلك الطرق؛ الإيحاء بقوّة الموقف،[56] وكلمة الفصل،[57] وإشهار الشهادة.[58]

تنوعت أشكال الحوار في القرآن، منها الحوار التشريقي، والحوار الوصفي، والحوار القصصي، والحوار الجدلي. ومن النماذج على الحوار في القرآن؛ حوار الله عز وجل مع الملائكة، وحوار الله عز وجل مع إبليس، وحوار الله عز وجل مع أنبيائه، وحوار الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم، حوار الرسول صلى الله عليه وسلّم مع قومه، والحوار مع المنافقين، ومع أهل الكتاب، والحوار بين الصالحين، والحوار بين الكافرين، وغيرها من النماذج الأخرى. والجدير بالذكر، أنّ الحوار القرآني يتميز بعدّة خصائص لم توجد في غيره من الحوار، منها مخاطبته للعقل والوجدان، وقوّته،

---

[55]. وردت في سورة الكهف الاية 34 و 37، كما وردت في سورة المجادلة الآية 1.

[56]. ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى في سورة هود الاية 35، وسورة سبأ الآية 50، وسورة يونس الآية 41.

[57]. ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى في سورة القصص الاية 55، و سورة هود الآية 93، وسورة سبأ الاية 25.

[58]. ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى في سورة آل عمران الآية 64.

ووضوحه، وبساطته، واستعماله أقربّ الطرق وأسهلها للإقناع، وغيرها من الخصائص الأخرى.[59]

ومن الأمثلة على استعمال القرآن أسلوبَ الحوار في الردّ على أغلوطة ومغالطة المغالطين حوار إبراهيم مع أبيه،[60] كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [مريم، 41-48].

وذكر القرآن كذلك حوار إبراهيم مع قومه، كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (52) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (53) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (54) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (55) قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (56) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ [الأنبياء: 52-57]. كما ذكر القرآن حوار إبراهيم مع النمرود، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: 258].

---

[59]. خالد محمد المغامسي، **الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية**، (الرياض: مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، ط1، 2004م)، ص32-44 (بتصرّف).

[60]. السيد محمد حسين فضل الله، **الحوار في القرآن**، (بيروت: دار الملاك، ط5، 1996م)، ص 65.

ثالثاً: منهج التربية بأسلوب الترغيب والترهيب.

لقد استعمل القرآن هذا المنهج كثيراً في الردّ على أغلوطة ومغالطة المغالطين. ومنهج التربية بأسلوب الترغيب والترهيب له أغراض كثيرة، منها للتشويق، والتعزيز، والتحذير، والعقاب. فالتشويق هو توجيه السلوك وضبطه داخلياً بواسطة الشروط الفيسيولوجية والاهتمامات والمواقف والآمال، ومثله الإثارة والحفز.[61] بينما التعزيز يعني الحادث أو المثير الذي يؤدي إلى زيادة احتمال تكرار حدوث الاستجابة. والتعزيز يشمل التشجيع، والتثبيط، والثواب، والعقاب.[62] وآيات الترغيب والترهيب كثيرة يصل عددها إلى ما لا يقل عن 49.53 % من إجمالي آيات القرآن الكلّي. بعبارة أخرى، أن آيات الترغيب والترهيب تبلغ 3089 آية من إجمالي 6236 آية.[63]

ويلاحظ من الأرقام المذكورة أعلاه أنه يمكننا أن نستنتج أن القرآن لا يكاد يخطو خطوة تعليمية أو توجيهية، عقائدية أو تشريعية، علمية أو عملية، إلا ويقرنها بشيء من الترغيب أو الترهيب، أو منهما معاً، تبعاً لمقتضيات الظروف ومتطلبات الأحوال. ولا سيما أنّ ما تمّ رصده هنا هو الأكثر وضوحاً، والمنطبقة عليه معايير البحث، لا كلّ ما يكون مرغبا من آيات القرآن الكريم.

ومن الأمثلة على استعمال القرآن منهج التربية بأسلوب الترغيب والترهيب في الرد على أغلوطة ومغالطة المغالطين، قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [سورة

---

[61]. الحسين جرنو محمود جلو، **اساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1994م)، ص 30.

[62]. المرجع نفسه، ص31.

[63]. المرجع نفسه، ص 272.

البقرة: 113]. يتجلى في هذه الآية كيف أن القرآن استعمل الوعيد بالعقاب ونوع من التهديد، بأنه تعالى سيحكم بين اليهود والنصارى يوم القيامة، ليثبت مَن هو الأصحّفي القول. والجملة الخاتمة في الآية تشعرنا بانه تعالى أعد لليهود والنصارى عذاباً أليماً.

وتارة يردّ القرآن على أغلوطة ومغالطة المغالطين بالتهديد بالعذاب، وتارة أخرى قابل القرآن حال هؤلاء المغالطين بحال السالمين من أغلوطتهم، ثم يبين القرآن أنّ مخالفيهم استحقّوا الجنّة والنعيم، عكس ما استحقّوا هؤلاء يوم القيامة. ومن الأمثلة على ذلك، قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: 67]. وقال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [سورة المائدة: 18].

وتارة استعمل القرآن أسلوب الأمر والنهي ويعقبه الجزاء على الامتثال بتلك الأوامر والنواهي. ومن الأمثلة على ذلك، قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة آل عمران: 180]. وقال تعالى أيضاً: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ

بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 59-64].

يلاحظ من الاستقراء، ليس كل مغالطة أو أغلوطة صدرت من الكفار يتولى القرآن بالردّ عليها مباشرة بأنها خاطئة ولا تستحق أن يتبناها أي واحد. فهناك مغالطة خطؤها واضح وضوح الشمس، حيث لا يتوقع أي واحد بصحتهاـــ فلا يردّ عليها القرآن بالجدل أو الحوار، وإنما ردّ على قائليها بأنهم استحقّوا العذاب الأليم بقولهم وتبنّيهم ذلك القول الخاطئ.

أ. الخاتمة ونتائج البحث

بعد هذه الدراسة المتواضعة حول المغالطة في القرآن ومنهج القرآن في الرد عليها، أجدني بفضل الله ومنته قد توصّلت إلى نقاط رئيسة من خلال الاستقراء والدراسة والاستنباط والتحليل. ومن هذه النقاط:

(1) الغلط في المنطق هو خطأ غير مقصود بسبب عدم مراعاة شروط القياس وقواعده. بينما المغالطة فهي استخدام قواعد القياس وشروطه لإيقاع الآخرين في الخطأ والتمويه عليهم وتضليلهم. وقد لعبت المغالطة دورا مهما في حياة الناس، خاصة في المجتمعات التي لا تؤمن بالقيم الأخلاقية، وتجيز كل وسيلة للوصول إلى الغاية.

(2) مفهوم الغلط والمغالطة في القرآن مما هو معروف عليه عند المناطقة، حيث إن مفهومها في القرآن تجاوز في كونها إنما تكون في القياس ومقدماته فحسب. وقد أورد القرآن مغالطة أصناف متعددة من الناس، سواء من المشركين والملحدين والمنافقين وأهل الكتاب من اليهود والنصارى وقام القرآن بالرد عليها.

(3) لايقتصر القرآن في بيان أهم العناصر التي قام عليها مغالطة المغالطين، إنما

استعمل القرآن مناهج متعددة في الرد على المغالطين، سواء بمنهج الجدل أو منهج الحوار أو منهج التشويق والتعزيز. وكل منهج من هذه المناهج لها خصائصها ومميزاتها التي يتحقق من خلالها الجمع بين إقناع العقل وجمال الأسلوب.

وفي نهاية هذا العمل، أوصي ببعض الأمور التالية:

(1) يحثّ الباحثون والأكاديميون على العناية بالبحث عن المغالطة في القرآن، لأنه من خلال معرفة أصول المغالطة في القرآن، نتمكّن من تحديد المنهج الأمثل في التعامل مع المغالطين.

(2) يحثّ الباحثون والأكاديميون على دراسة المنطق القرآني بدلا من المنطق الإغريقي، وإدخال هذه المادة في مناهج الدراسة الجامعية، حتى يتمكن المسلمون من الاستفادة منه.

(3) يحثّ المسلمون خاصة العلماء على توظيف المناهج القرآنية في الرد على المغالطين في الحياة اليومية.